التمثيل السياسى
بين الخلافة العباسية والدولة البيزنطية

لم تكن العلاقات بين المسلمين والبيزنطيين فى العصور الوسطى ، قصة حروب متصلة الحلقات ، أو إغارات متكررة تبادلها الطرفان ، على نحو ما يستشف القارئ العابر من الحوليات التى تناولت تلك العلاقات بالتأريخ . فقد جهدت الدولتان الإسلامية والبيزنطية على إقامة علاقات حسن الجوار ، وتجنيب رعاياهما ويلات الحروب . واعتمدتا فى تنفيذ السياسة السالفة على ديوان الرسائل ، وهو ما عرف أيضاً فى الدولة الفاطمية بديوان الإنشاء والمراسلات . فكان هذا الديوان أشبه بوزارة الخارجية فى المصطلح الحديث ، يوجه سياسة الدولة الخارجية ، ويضع التوجيهات والتعاليم التى تسير عليها هذه السياسة .

وتمتع صاحب ديوان الرسائل ، (أو وزير الخارجية) λόγοθέτης τοῦ δρόμον فى الدولة البيزنطية بمركز رفيع . فكان أعظم المقربين إلى الأمبراطور ، وأكثر الناس ملازمة له فى جلساته العامة والخاصة[١]. وتمتع قرينه فى الدولة الإسلامية بنفس السلطان والنفوذ ، حسبما ورد فى نص متأخر تناول فى إسهاب تاريخ ديوان الرسائل أو الإنشاء ؛ « فهو أول داخل على الملك وآخر خارج عنه ، ولا غنى له عنه فى مفاوضته فى آرائه ، والإفضاء إليه بمهماته ، وتقريبه منه فى آناء ليله وساعات نهاره . . . . ، فهو لذلك لا يثق بأحد من خاصته ثقته به ، ولا يركن إلى قريب ولا نسيب ركونه إليه .[٢] »

وتولى صاحب ديوان الرسائل[٣] انتقاء السفراء عندما تقتضى الظروف

---

(١) S. Runciman, Byzantine Civilization, 155.

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ؛ ج ١ ، ص ١٠١ ، ١٠٢ .

(٣) كان المضطلع بهذا المنصب الجليل يتحلى بصفات خلقية وعلمية ممتازة . فلا بد من توافر

الاتصال الدبلوماسي . إذ لم يكن للدولتين الإسلامية والبيزنطية ممثلون دائمون ، أو دور سفارات متبادلة بينهما على نحو ما هو معروف فى العصر الحديث . فكان السفير إذ ذاك أشبه بما يعرف اليوم من « السفراء فوق العادة » ، الذين يوفدون لأداء عمل ينتهى بانتهاء مهمتهم[١] . على أن اختيار السفراء لم يجر اعتباطاً ، وإنما وضعت الدولة الإسلامية شروط عدة لانتقائهم ، أهمها توافر مميزات جسمانية وخلقية وثقافية .

وقد وضعت المؤلفات العربية لبيان الشروط الواجب توافرها فى السفير ، وذكرت أمثلة عدة لسفارات عربية وغير عربية للإيضاح وإكمال الفائدة . ومع أن هذه الكتب العربية متأخرة عن الفترة التى يعالجها موضوع المقال على هذه الصفحات ، فإن أهميتها جليلة فى بيان علو كعب الدولة العباسية لما ذخرت به من أمثلة عديدة لسفراء هذه الدولة . كما أن التعليمات والتوجيهات التى رددتها هذه الكتب لا تقل عن الأعمال التى دونها علماء الدولة البيزنطية فى ميدان السياسة والدبلوماسية[٢] . ومن ثم تشابهت أعمال السلطات الإسلامية والبيزنطية تقريباً فى انتقاء سفرائهما والمهام التى ألقيت على كاهل أولئك السفراء .

الفطنة والرزانة فيه ، فلا يكثر من التصريح فى كلامه ، ويستغنى عن ذلك بالإشارة والإيماء كلما استطاع إلى ذلك سبيلا . وإلى جانب ذلك كان عليه أن يلم قدر استطاعته باللغات الأجنبية كتابة وحديثاً ، ولا سيما التى تتعلق بأمور دولته .

(١) Runciman, op cit, 156

(٢) من الكتب العربية الهامة التى تناولت التمثيل الدبلوماسى للدولة الإسلامية ، وشروط اختيارها للسفراء ، وذكر أمثلة لمهام أولئك السفراء وما جرى لهم من أحداث ، كتاب « رسل الملوك ، ومن يصلح للرسالة والسفارة » ، لمؤلفه ابن الفراء . وقد نشر هذا الكتاب الأستاذ صلاح الدين المنجد ، وعلق عليه فى إسهاب . ودون أحد أباطرة الدولة البيزنطية ، ويدعى قنسطنطين السابع (الملقب بورفيروجنيتوس) كتاباً اسمه « المراسيم » (De Ceremoniis) شرح فيه لابنه قواعد اللياقة (البروتوكول) الواجب اتباعها فى البلاط البيزنطى . وتناول فى هذا الكتاب ذكر للسفراء البيزنطيين ومهامهم ، ووصف لاستقبال السفراء المسلمين وقواعد معاملتهم . ويعطينا هذان الكتابان خطوطاً عامة عن التمثيل الدبلوماسى بين العباسيين والبيزنطيين .

ومن الخصائص الجسمانية التى ذكرت فى انتقاء السفير[١] «تمام القد، وعبالة (ضخامة) الجسم، حتى لا يكون قميئاً ولا ضئيلا. وإن كان المرء بأصغرية، ومخبوءً تحت لسانه، فإن الصورة تسبق اللسان، والجثمان يستر الجنان[٢].» على أن هناك أمثلة قليلة جداً شذت فيها القاعدة السالفة عندما بذّت الخصائص الأخرى للسفير مميزاته الجثمانية. فكان يراعى فى السفير أيضاً الفطنة والذكاء، والمقدرة على التعبير الصحيح، والمعرفة الواسعة لشتى العلوم والفنون، ولا سيما المسائل الدينية[٣].

وبقدر توافر المميزات السالفة فى السفير بقدر ما زادت خدماته لدولته. ومن ثم تغالى كل من الخلفاء العباسيين والأباطرة البيزنطيين فى انتقاء السفراء، إذ توقفت تحديد سياسة الدولة من سلم أو حرب على التقارير التى يقدمها أولئك السفراء بعد عودتهم. وكان السفير يزود قبل سفره بتعليمات سرية، يمدها به قلم المخابرات السرية (أى الجواسيس) عن البلد الموجه إليه. فالمعروف أن المسلمين والبيزنطيين استخدموا الجواسيس بشكل ملحوظ لخدمة أغراضهم الحربية، وتنفيذ مآربهم السياسية.

وسار التمثيل الدبلوماسى بين الدولتين العباسية والبيزنطية وفق قواعد مقرره، ونظم ثابتة. واستهدف تحقيق أغراض تشبه إلى حد كبير الأعمال التى يضطلع بها رجال السلك السياسى بين الدول فى الوقت الحاضر. فكان السفير يزود قبل سفره بخطاب عليه الشارة الملكية، أو الخاتم الملكى، وبه تعريف بالمهمة التى كلف بها، على نحو أوراق الاعتماد التى يزود بها السفراء فى الوقت الحاضر. وبعد أن يتم السفير إعداد أوراقه الرسمية يخرج على رأس قافلة،

---

(١) تذكر المراجع العربية كلمة رسول للدلالة على كلمة السفير التى استخدمتها فى هذا المقال. والتحديد اللغوى لهاتين الكلمتين واحد، فالرسول مهما تعددت أغراضه له صفة واحدة، هى التوجيه ونقل الأخبار، وكذلك السفارة معنى من معانى الرسالة، وهو التوجه والانطلاق إلى القوم. وفضلت كلمة سفير لشيوعها فى الوقت الحاضرة.

(٢) ابن الفراء : رسل الملوك، ص ٢٠.

(٣) ابن الفراء : رسل الملوك، ص ٢٢، ٢٣.

محملة غالباً بالهدايا الثمينة لسيد البلاد المتجه إليها ، ولكبار رجال الدولة هناك[١] .

واعتادت السفارات الإسلامية والبيزنطية اجتياز الممر المعروف باسم أبواب قليقية ، عند ذهابها إلى القسطنطينية أو بغداد[٢] . وفى العاصمة يحدد للسفير يوم يقابل فيه ولى أمر البلاد ، وتقديم الرسالة الملكية التى يحملها . وقبل ذلك اليوم يقضى السفير وقته مع رجال القصر ، يتلقن منهم آداب مقابلة ولىّ أمر البلاد ، وأساليب التحية التقليدية . إذ لو أساء السفير السلوك أو لم يرع آداب الحديث ، يلقى فى السجن ، أو يعامل معاملة جافة[٣] .

ودأبت السلطات الرسمية على وضع السفير فى فترة الانتظار كذلك تحت الرقابة الشديدة ، ومنعه من الاطلاع على شىء لا ترغب الدولة فى كشفه له . فتحول السلطات مثلا بين اتصال السفير وبين الشخصيات التى يجب أن تظل بعيدة عن الشئون السياسية ، أو يخشى من اتصالهم كشف أسرار علمية أو حربية . ولكن السفراء جهدوا فى تلك الأثناء على مقابلة الشخصيات البارزة فى الدولة من الوزراء ، لتسهيل مهمتهم ، وتحقيق أسباب النجاح لها . فمن ذلك ، أن السفير البيزنطى نقفور أورانيوس (Nicephorus Uranius) كان مزوداً — عندما أوفد إلى بغداد سنة ٩٨٠ م — بتعليمات تنصحه بخطب ودّ عضد الدولة ، أعظم شخصية فى الدولة الإسلامية إذ ذاك[٤] .

وعندما يأتى يوم المقابلة يجلس الخليفة أو الإمبراطور فى أبهى حلة ، متصدرا كبار رجال دولته فى قاعة الاحتفالات ، ويخصص للسفير مكان بارز يليق بمقامة والمهمة التى جاء من أجلها ، ويقدم على سائر سفراء الدول الأخرى . إذ حرصت الدولتان الإسلامية والبيزنطية على معاملة سفرائهما معاملة ممتازة ، تنم عن تقدير كل دولة للأخرى . ويقدم السفير الخطاب الملكى ، فيتقبله

(١) Baynes, The Byzantine Empire, 74;
Runciman, op cit, 158 .

(٢) Le Strange, The Lands of the Eastern Caliphate, 134.

(٣) Runciman, op. cit., 157.

(٤) Ibid., 158.

صاحب الأمر فى البلاد ، ويسلمه لوزيره ، ويستعرض بعد ذلك الهدايا . وكانت أنواع هذه الهدايا تذكر فى الخطاب الملكى . ففى خطاب ورد مع سفير بيزنطى للخليفة المعتصم جاء فيه قول الإمبراطور : « وقد تهادت الملوك من قبلنا ، وقد وجهت مع رسولى من الثياب الديباج المذهبة أربعين ثوباً ، طول كل ثوب منها أربعون ذراعاً فى عرض عشرين[١] . »

ويُسأل السفير فى المقابلة الملكية عن أحوال دولته وسيرة قادتها ، وعن مرافقها الاقتصادية وغيرها من الشئون التى تهم السلطات معرفتها . وتفاوتت مقدرة السفراء فى الحيطة فى الإدلاء بالمعلومات ، والاشادة بدولهم[٢] . وعندما تنتهى المقابلة يخرج السفير إلى دار الضيافة التى يقيم بها إلى أن ينتهى من مهمته . وتحتفى الدولة بالسفير مدة بقائه بعاصمتها حفاوة تهدف منها إعطاءه صورة طيبة عن أحوالها وهيبتها .

وتعددت مظاهر الحفاوة بالسفراء ، فكان يقام لبعضهم عرض عسكرى كبير ، تعرض فيه الدولة قوتها الحربية ، ولا سيما إذا كانت مهمة السفير تتعلق بإنهاء حالة حرب . وأحياناً يوضع للسفير برنامج للترفيه ، ومشاهدة معالم العاصمة وروائع العمارة بها . وكان السفراء يحذرون قبل سفرهم من التمادى فى التمتع بألوان الحفاوة ، حتى لا يدلوا بأقوال تسيئ إلى بلدهم أو تفشى أسرار خطيرة . فحرم عليهم شرب الخمر أو مصاحبة النساء أثناء تأديتهم سفارتهم[٣] .

وبذّت مشاهدة معالم العاصمة مظاهر الحفاوة الأخرى . ومن ذلك أنه وفد على الخليفة أبى جعفر المنصور أحد سفراء الدولة البيزنطية ، بعد انتهائه من بناء بغداد . فأمر الخليفة حاجبه الربيع بن يونس أن يصحب السفير فى جولة حول العاصمة ، يريه فيها قباب الأبواب ، ومناعة الأسوار ، وما فى عاصمته من العمران . وعندما عاد السفير من جولته سأله الخليفة عن ملاحظاته ،

---

(١) ابن الفراء ، نفس المرجع ، ص ٣٥ .
(٢) نفس المرجع السابق ، ص ٣٥ ، ٣٦ .
(٣) ابن الفراء : نفس المرجع ، ص ٢٥ .

ومدى ما تركته هذه المظاهر فى نفسه من أثر[١] .

وبالغت الدولة البيزنطية فى إكرام السفراء المسلمين ، فكانت تعهد إلى بعض موظفيها باصطحاب السفير لمشاهدة كنيسة أيا صوفيا أعظم الكنائس بالقسطنطينية ، وغيرها من الأديرة بالمدينة . وأقيمت حفلات للسفراء فى الملعب (Hippodrome) ، الذى كان يعد قلب المدينة النابض[٢] . إذ كان يؤمه علية القوم لمشاهدة المباريات الرياضية ، وألوان السباق والتنافس بين الرياضيين . وأظهر السفراء المسلمون اعتداداً بالنفس ، جعل الدولة البيزنطية لا تتبع معهم أساليب الترفيه التى دأبت على تقديمها لسفراء جيرانها من المتبربرين . فكان السفير المتبربر يشاهد غرف القصر الزاخرة باللعب وتماثيل الطيور والأسود ، التى تحرك آليا لإثارة الدهشة والعجب[٣].

ولم تصرف مظاهر الحفاوة السفراء عن تأدية مهمتهم ، كما لم تصرف الدولة الوافدين إليها عن مراقبتهم سراً . إذ كانت السفارات المتبادلة تهدف إلى التبليغ بقيام خليفة أو إمبراطور جديد على العرش ، أو إنهاء حالة حرب بين الدولتين أو تبادل الأسرى وإزالة حالة توتر توشك أن تؤدى إلى إشعال نار الحرب . وكان النوع الأول من السفارات قليل ، ولكن كثيراً ما أخفى وراءه أغراضاً سياسية ، هدفها استطلاع أحوال البلاد .

على أن السجل الدقيق لنظام السفراء يستشف من الأحداث التى دونتها الحوليات الإسلامية والبيزنطية عن تبادل الأسرى بين الجانبين . ففى سنة ٨٥٩ م (٢٤٦ هـ) أرسل الإمبراطور ميخائيل الثالث أحد كبار رجال دولته — ويدعى فى المراجع العربية أطروبيليس ، ويحتمل أنه قنسطنطين تريفيليوس (Triphylius) فى المراجع البيزنطية — إلى الخليفة العباسى المتوكل ، لمفاوضته فى تبادل الأسرى

---

(١) ياقوت : معجم البلدان (بغداد) ؛ ج ٢ ، ص ٢٣٣ .
الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ، ج ١ ، ص ٧٨ .

(٢) ابن رسته : الأعلاق النفيسة ، ص ١٢٠ .

(٣) Baynes, op cit ,72

(٤) Vasiliev, Byzance et les Arabes, 234, 235.

لدى كل منهما قبل الاتفاق على الفداء . فأرسل الخليفة المتوكل فى نفس السنة سفيراً إلى القسطنطينية ، يدعى نصر بن الأزهر ، ليتأكد من صحة أقوال السفير البيزنطى(١) .

ووصل السفير العباسى إلى القسطنطينية متشحاً الملابس السوداء ، وعلى رأسه القلنسوة ، ومتمنطقاً سيفاً وخنجراً ، وهو اللباس الرسمى للعباسيين . وعندما جاء موعد مقابلة الإمبراطور أبى وزير خارجته – وكان بتروناس – خال الإمبراطور – أن يسمح للسفير بدخول البلاط على هذه الهيئة ، مبدياً إعتراضه على الملابس السوداء ، وعلى السيف بصفة خاصة . غير أن النخوة دبت فى نفس السفير الإسلامى ، واستبد به الغضب ، وهم راجعاً . فاضطر رجال الدولة البيزنطية إلى ملاطفة السفير ، حتى عاد إلى البلاط ، ودخل على الإمبراطور ، وقدم له الهدايا .

وروى السفير ما حدث له ، وما شاهده فى البلاط البيزنطى فى هذه الصورة الشيقة : « . . . . وأبوا أن يدخلونى بسيفى وسوادى . . . . فانصرفت ، فرددت من الطريق ، ومعى الهدايا نحواً من ألف نافجة مسك ، وثياب وحرير وزعفران كثير وطرائف . . . . وحملت الهدايا التى معى ، فدخلت عايه (أى الإمبراطور) فإذا هو جالس على سرير فوق سرير ، وإذا البطارقة حوله قيام . فسلمت عليه ، ثم جلست على طرف السرير الكبير ، وقد هيئ لى مجلس ، ووصفت الهدايا بين يديه(٢) . »

وكان مع الإمبراطور ثلاثة تراجمة ، نقلوا كلام السفير العباسى ، الذى أبدى كياسة ومهارة دبلوماسية قبل بدء الحديث ، إذ حذر المترجمين من الأطناب فى كلامهم قائلا لهم : « لا تزيدون على ما أقول لكم شيئاً (٣)» وقد حدث أثناء إقامة السفير العباسى بالقسطنطينية جفوة بين الدولتين الإسلامية

---

(١) الطبرى ، تاريخ الرسل ا ج ١١ ، ص ٦١ .
(٢) الطبرى ، نفس المرجع ، ج ١١ ، ص ٦١ .
(٣) الطبرى ، نفس المرجع ، ج ١١ ، ص ٦١ .

والبيزنطية ، بسبب الخلاف على قلعة اللؤلؤة[١] بآسيا الصغرى . فبقى السفير أربعة أشهر لا يقابل فيها الإمبراطور لإنهاء مهمته . ولما سويت المشكلة السالفة استؤنفت المفاوضات لإجراء الفداء .

وتجلت فى هذه المرحلة من المفاوضات مهارة السفير الإسلامى الدبلوماسية . فبعد أن أتم الاتفاق أقسم كل من السفير وبتروناس — وزير الخارجية — نيابة عن الإمبراطور على احترام الشروط التى عقدوها . ولكن السفير العباسى التفت إلى الإمبراطور وقال : « أيها الملك ، قد حلف لى خالك ، فهذه اليمين لازمة لك ؟ » فأجاب الإمبراطور برأسه ، نعم . وعلق السفير على ذلك بقوله فى مذكراته : « ولم أسمعه (أى الإمبراطور) يتكلم بكلمة منذ دخلت بلاد بلاد الروم (أى الدولة البيزنطية) إلى أن خرجت منها ، إنما يقول الترجمان ، وهو يسمع ، فيقول برأسه ، نعم ، أو لا . . . . وخاله المدبر أمره[٢] . »

وكانت الخطابات التى يحملها السفراء لإجراء تبادل فى الأسرى ، واضحة الأهداف والأغراض . ومن ذلك كتاب جاء إلى المعتصم العباسى بعد عودته من حملة عمورية ، التى ضربها سنة ٨٣٨م (٢٣٢ هـ) انتقاماً لإغارة سبق أن شنها البيزنطيون على مدينة زبطرة الإسلامية عام ٨٣٧ م (٢٢٣ هـ) . فجاء فى خطاب الإمبراطور البيزنطى ما نصه : « إن الملوك لم تزل يغزو بعضها بعضاً ، ويعلو بعضها على بعض . . . . وقد كان منا بزبطرة ما كان ، وتبينت وجه الخطأ فيه . وقد كلت لى بالصاع أصوعاً فيما فعلت بعمورية . وأنا أسألك بالطينة المباركة التى أنت منها أن تنعم علىّ بإطلاق بطارقتى ، فإنهم مائة وخمسون بطريقاً . وأنا أفتدى كل واحد منهم بمائة من المسلمين[٣] . »

---

(١) تتحكم هذه القلعة فى الممر المشهور باسم الأبواب القليقية ، وحرص كل من المسلمين ، والبيزنطيين على بقائها فى قبضتهم . وكان أهالى هذه القلعة يحوّلون ولاءهم من السلطة الإسلامية إلى البيزنطية ، وبالعكس ، مما أدى كثيراً إلى بث روح التوتر بين الدولتين ، على نحو ما حدث فى الفترة السابقة الذكر بالمقال .

(٢) الطبرى ، نفس المرجع ، ج ١١ ، ص ٦١

(٣) ابن الفراء ، نفس المرجع ، ص ٣٤

ويبين الخطاب السالف حرص الدولة الإسلامية على الاحتفاظ بكبار الأسرى البيزنطيين . إذ استهدفت من ذلك تسخيرهم فى خدمة أغراضها السياسية . وتجلت هذه السياسة الإسلامية على عهد العباسيين بصورة واضحة أيضاً فى احتضانها لكبار رجال الدولة من البيزنطيين الخارجين على السلطات الرسمية بها . ومن ثم غدت مهمة السفارات كذلك وضع حد لهذه المشاكل ، التى كانت تلى فى أهميتها تبادل الأسرى .

وكان السفراء البيزنطيون يتحايلون ، فى أشباه هذه المهام الخاصة بإعادة اللاجئين السياسيين ، بوسائل أشبه بما يتذرع بها رجال السلك السياسى فى الوقت الحاضر . ففى السنوات الأولى من عهد الإمبراطور البيزنطى ثيوفيل (٨٢٩ — ٨٤٢ م) توجه رسول من قبله يدعى حنا النحوى إلى الخليفة العباسى المأمون ، ومعه خطاب يعلن للسلطات الإسلامية نبأ تولى الإمبراطور ثيوفيل العرش . وفضلا عن ذلك كاف السفير البيزنطى بتهدئة الحالة السياسية التى كانت متوترة إذ ذاك بين الدولتين الإسلامية والبيزنطية . ووقع الاختيار على حنا لتضلعه فى اللغة العربية ، حيث جهدت السلطات الرسمية على إيفاد السفراء من الضليعين فى اللغتين العربية واليونانية [١] .

وعمد حنا على أن يبدو أثناء إقامته فى بغداد بمظهر الثرى الجواد . فكان يحمل للخليفة العباسى هدايا ثمينة ، كما نثر الذهب على المحيطين به كما تنثر الرمال ، على حد قول المراجع البيزنطية ، وأجزل العطاء لمن اتصل بهم فى دار الضيافة ببغداد [٢] . وكان حنا يخفى بهذه المظاهر هدفاً آخر جاء من أجله إلى العاصمة الإسلامية . إذ قام ببغداد فى ذلك الوقت لاجىء بيزنطى يدعى مانويل ، كان من كبار القادة البيزنطيين وأعظمهم خبرة بفنون القتال . وقد اتهم هذا القائد فى أوائل الإمبراطور ثيوفيل العرش بالتآمر على سلامة الدولة . ففر مانويل إلى حدود قليقية ، حيث قابل عمال الحدود المسلمين ، وطلب منهم

---

(١) Bury, History of the Eastern Empire, 256.

(٢) Ibid., 256.

السماح له بمقابلة الخليفة[١].

ورحب المأمون بهذا القائد، واستخدمه فى الحملات التى شنها ضد طائفة الخرمية وزعيمها بابك. وكانت جماعة الخرمية شديدة المراس فى ثورتها على الخلافة الإسلامية بتحريض البيزنطيين، لإحداث القلاقل بالدولة، وصرفها عن الهجوم على أراضيها. ولكن تبين للإمبراطور ثيوفيل بعد استتباب الأمر له فى الدولة براءة القائد مانويل، وعمل على استدعائه للاستفادة من خدماته مرة أخرى، وحرمان الدولة الإسلامية من جهوده. ومن ثم جاء حنا النحوى متخفياً تحت ستار إعلان نبأ تولى الإمبراطور ثيوفيل العرش ليتصل بمانويل سراً، ويغريه على العودة إلى بلاده [٢].

واستطاع حنا تأدية مهمته، فالتقى بمانويل بعيداً عن أعين الرقباء وأبلغه عفو الإمبراطور، وتأكده من براءته، ووعده برفع منزلته. واتفق مانويل مع حنا على خطة الهروب. إذ تمكن مانويل من إغراء الخلافة العباسية باشتراكه فى حملاتها على الدولة البيزنطية. وعندما اقترب من الحدود فرّ إلى داخل الأراضى البيزنطية[٣]، بعد نجاح سفارة حنا النحوى.

وهكذا كانت العلاقات الدبلوماسية بين الخلافة العباسية والدولة البيزنطية المحور الذى دارت عليه كثيراً من أحداثهما، وصمام الأمن الذى حفظ التوازن بينهما، عندما اشتدت الأزمات. كما حققت السفارات المتبادلة بينهما أغراضاً شتى من جس النبض والتحايل على تنفيذ المآرب من أسهل طريق وأيسره. ولكن رغماً عن تعدد الأغراض التى اضطلعت بها السفارات بين العباسيين والبيزنطيين فإنها تنهض دليلا على ما ساد الطرفين من ميل إلى تسوية مشاكلهما بالطرق السلمية، والعمل على إقامة علاقات حسن الجوار، بما يكفل لهما الحياة الهانئة الطيبة.

دكتور إبراهيم أحمد العدوى
أستاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد — جامعة القاهرة

---

(١) Bury, op. cit., 257.

(٢) Ibid., 257.

(٣) Ibid., 258.